# إدارات جديدة للتنقيب في ماري
## ونتائجها الأولى

بقلم الاستاذ : جان مارغرون
تعريب وتلخيص : بشير زهدي

أشكر السلطات الأثرية والمديرية العامة للآثار على رغبتها في الاحتفال بالذكرى الخمسين لاكتشاف ( ماري ) وذلك بشكل ممتاز ، ودعوتنا الى هذه الندوة في أقرب مكان ممكن من ( تل حريري ) في العاصمة الجديدة للفرات .

وأريد أن يكون بحثي المقدم لهذه الندوة بمثابة **تقدير** من ابن الى ( اندره بارو ) — الذي أعاد الى مدينة ماري القرن العشرين شهرتها القديمة . **وكهدية** الى الاعضاء الفرنسيين والسوريين في البعثات المتعاقبة على تل الحريري منذ خمسين عاما والمهمة في بعث عاصمة الفرات الاوسط .

وهدفي هو تحديد منهاج البعثة . وعرض الاعمال المنجزة طيلة المواسم الثلاثة ، واستنتاج المستجدات عن التنقيبات الاخيرة .

٢ ان الوضع الحالي للتنقيب الاثري ، أدى الى تحديد الاهداف الرئيسية لاعمال منهاج يغطي عشر مواسم . بادىء الامر ، دراسة عاصمة مملكة الفرات . وذلك باضافة مجموع المعلومات التي حصل عليها ( اندره بارو ) وبعثاته — الى البحوث الجديدة .

وان دراسة تنظيم المدينة — في الالف الثالث والثاني قبل الميلاد — تشكل المرساة الاولى . فلكل عصر كبير في حياة المدينة يراد تنظيم المجموع مع المحاور الكبرى لشبكة المواصلات ، وتحديد مفصل الاحياء الرئيسية . ويفكر بشكل خاص بالنسبة لهذه الناحية بالصلات التي كانت موجودة مع مركز المدينة الذي اقيمت فيه المعابد الرئيسية والقصر والدور الكبيرة . والاهتمام بسعة المدينة عبر تاريخها وحدودها . وسيكون طراز ( الدفاع ) كما بدا في الجهة الجنوبية موضوع دراسة مفصلة تهدف الى ابراز طبيعة المنشآت وتواريخها . ويراد تحديد مكان أبواب المدينة . ويهدف القسم الثاني الى ابراز تطور المدينة منذ أصولها التي ما زالت غير معروفة حتى قيام ( حمورابي ) بهدمها ، وما بعده ، اذا كان ذلك ممكنا . وان هذا البحث عن تطور المدينة لا يمكن أن يكون الا بصلة وثيقة مع تاريخ ماري . وسيتم بالاشتراك مع ( لجنة قراء النصوص ) . وجذبت ارض ماري الانتباه . فبمقدار ما كانت ماري تملك قاعدة أرضية فان من المهم دراستها لمعرفة ( مملكة ماري ) في حقيقتها وليس فقط بعاصمتها التي لا تعبر الا عن قسم منها . لهذا تجب محاولة تقدير علاقات المدينة مع اراضيها. فالهدف اذن هو تحليل هذه الارض لمعرفة ما تحت مظاهرها الثلاثة الاصلية :

اولا — تنظيم شبكة المياه السطحية لانها تمنح بكل تاكيد خصائص للمملكة . وبتحليل تنوعات مجرى النهر ، يؤمل رؤية اثره في عصر ازدهار ماري . وفي الواقع ، كانت ماري عصر ئذ على بعد ٢ — ٣ ك.م غرب الفرات ، وبديهي أن

مثل هذا الوضع لا يمكن ان يناسب مدينة تحصل على قسم هام من مواردها من الملاحة النهرية حسبما تؤكده النصوص . وهكذا فان طبيعة الصلة القديمة هي ما يؤمل اكتشافه ويرغب في البحث عن آثار الاقنية القديمة التي كان دورها في الري أكيدا بسبب الشروط الطقسية . كما يراد أيضا معرفة فيما اذا كانت استطاعت ان يكون لها دور في اسلوب النقل النهري . وفي هذه الناحية أيضا تقدم الوثائق الكتابية اسهاما في اعداد النتائج العامة .

تحدد الطبيعة الاراضي : ومن المهم تحديد توزيع القطاعات المخصصة للزراعة والقطاعات التي كان يسودها الرعي قديما وذلك لتقدير اهمية السكان الذين يمكنهم العيش هناك انطلاقا من الموارد الاساسية . ويمكن بهذه الدراسة تقدير كيفية نمو مدينة ماري اعتمادا على امكانات البيئة في الميدان الزراعي .

وكنتيجة لهذه القضية الاخيرة ، يراد البحث لاكتشاف المنشآت الانسانية القديمة ، ودراسة تأسيس القرى في العصر البرونزي الوثيق الصلة بمعلومات رقم كتابية تسمح بمعرفة محددة جدا بسكنى الانسان في ( فترة قوة ماري ) ومن الممكن ايضا تحديد امكانات وحدة الارض البدائية على سوية ( الصالحية ) والضفاف .

واخيرا . وراء الارض المرتبطة مباشرة بالمدينة ، يراد تحديد العلاقات التي استطاعت ان تخلق صلات وثيقة مع الوحدات الارضية النامية في الجنوب والشمال . وان الانتباه موجه خصوصا الى ( سهل ترقا ) منطقة منفذ الخابور واراضي دير الزور . وان البحث عن ( شبكة الاقنية القديمة ) التي كانت في فترات ما تصل هذه المناطق بسهل ماري ، ان هذا البحث لا بد ان ترافقه كل المعلومات المجموعة في مصادر مكتوبة ، ويمكن عندئذ ان يؤمل بفهم افضل لاسس ( قوة ماري ) ، وتحديد ما ينسجم او يخالف لجمع ماري عن بقية مناطق حوض الفرات ، ويفهم اذن لماذا قامت ( ماري ) وليس غيرها في حوض الفرات بدور عاصمة الفرات الاوسط طيلة الف عام .

ووراء المعرفة البسيطة عن ( مملكة قديمة )، فان نوعية ( ماري ) نفسها – التي يؤمل تحديدها في هذا البحث الموسع الذي ادخل والاجتماعية واذن التاريخية – ادخلها في اتجاه واسع لظاهرة نموذجية لها اكثر من عنوان تأسيس مدينة بين بلاد ما بين النهرين وسورية في العصر البرونزي . وببيان هذه الظاهرة والمقتبسات التي تفترضها يفكر بتحديد الاصالة العميقة لمدينة ( ماري ) التي كانت أحيانا محجوبة باضافات خارجية .

ان الاعمال الجارية في الارض طيلة مواسم الثاني والعشرين حتى الرابع والعشرين ( في خريف ١٩٧٩ – ١٩٨٠ وربيع ١٩٨٢ ) بحثت عن الاجوبة الاولى لهذه الاسئلة . وان النتائج الحاصلة اتجهت في الاتجاه المرغوب فيه . وبمناسبة المعلومات الجديدة فقد حصل على نتيجة هامة .

## ١ – دراسة الأسوار :

ان ارتفاع أرض يحيط من الجنوب الغربي الى الجنوب الشرقي ( التل الرئيسي ) كان يفسر دائما كممثل لبقايا السور القديم . وعلاوة على ذلك ، فان تلا صغيرا مشتركا مع هذا الحزام أثار الفكر كثيرا . وبحثت أسبار عديدة عن تحديد طبيعة هذه المنشآت . وان النتائج الحاصلة حتى الآن لا تسمح بعد باعداد صورة واضحة عن الوضع لسببين رئيسيين :

أولا – ان التل الصغير ظهر مشكلا من طبقات طينية متداخلة من قشرات دقيقة من الارض الرملية ، وظهر المجموع يقابل السفوح الحالية . ولم يتح التنقيب الكشف عن اي جدار . ولا تتضمن كتلة الطين الا كسرات نادرة ، ولم يعثر على اية قطعة باستثناء حصة صغيرة من كرات

القذف . وما زال سر هذا ( التل ) بدون حل . ويؤمل أن الدراسة التي تجمع بين هذه الكتلة وارتفاع الاسوار ستقدم شرحا للمجموع .

ثانيا ـ بدت الحلقة كأنها مؤلفة من جدار من الآجر المجفف سمكه نحو ٢ م أقيم في جهة الطرف الخارجي ، وخلف هذا الجدار اي في جهة المدينة ، توجد كومة موضوعة كطبقات تمثل كتلة قوية نحو الشمال . ويبدو هذا الطراز مشكلا جدارا آخر في جهة المدينة . ولكن بما ان مثل هذا لم يظهره التنقيب ، فلا بد من قبول نوع من (منحدر داخلي) مدعم مقابل جدار خارجي وليس كأسوار مؤلفة من جدار مزدوج يضم حشوة .

وما زال وضع المجموعة غير واضح تماما ، فلا بد من تنقيبات جديدة .

**٢ ـ الورشة ـ آ :**

كان الهدف الرئيسي لهذه الورشة عام ١٩٧٩ هو القيام بتنقيب طبقي يسمح بمعرفة تعاقب المنشآت قرب قلب المجمع . فاظهر التنقيب مباشرة مبنى جميلا بجدران محفوظة أحيانا حتى ارتفاع مترين . مما تطلب دراسة هذه المجموعة دون التخلي عن الدراسة الطبقية للارض . وفي عام ١٩٨٢ صرف النظر عن الهدف الاول للقيام بدراسة المبنى المعروف حاليا بمساحة ٤٠٠٠م٢ ويتعذر تفصيله بدقة ، لان مدخله لم يكتشف بعد ، وباستثناء الزاوية الجنوبية الغربية التي عرفت حدودها مسافة ٣٠ م فانه يتعذر حاليا تحديد اية وحدة بدقة . وان بضع قاعات تستحق الذكر بشكل خاص . وهكذا ، فان السطح ( ١ ) الذي كان في الاصل مغطى بأرضية من الجص من النوع الجيد بدا وسط وحدة هامة لانه وجد تحتها ( قبر مبني ) . وان القاعة (١٦) المنقب عنها بشكل غير تام ، عليها بقايا ( قاعدة عرش ) وضعت مواجه منتصف الجهة الصغيرة الغربية . وهناك بقايا أخرى من الانواع الطقوسية ما زالت مرئية على الارض الجصية . واخيرا ، فان القاعة ( ٢٠ ) رتبت كقاعة مياه ، وان دورة المياه جعلت في الزاوية الجنوبية ، وهناك بلوعتان لتصريف المياه المستعملة ، ولكن هناك بشكل خاص ( مدخنة الزاوية ) تتطلب تحديد وظيفتها الحقيقية ، ويلاحظ ايضا ( التنور الكبير ) في القاعة ( ١٣ ) .

ان ( القبر المبني ) تحت السطح ( ١ ) يشكل احد أصول هذا المبنى ، ويتألف القبر من غرفة جنائزية مشيدة من الآجر المشوي على مخطط مربع وسقوف . وهناك غرفة ملاصقة . وباستثناء بعض الفخار ، فان القبو بكامله فارغ ، وان ثقبين قام بعملها منقبون سريون في السقف يفسران بسهولة اسباب هذا الوضع . ولكن من المؤكد ان هذا القبر قد استخدم في فترة حياة المبنى ، لان ارض القاعة ( ١ ) ما زالت فيها بقايا فتحها من جديد .

ولا يعرف بعد المسؤولون عن هذا المبنى الذي ما زال تاريخه غير اكيد . ومع ذلك ، يمكن الاعتقاد بانه شيد في عهد ( شاكا ناكو ) . وقد وجدت على الارض الجصية اقدم سوية عليها بقايا استخدام طويل ، وقطع ختم الباب مغطاة بطبعات الاختام بعضها باسم ( ايتلال ارا ) في وقت لم يكن فيه بعد ( شاكاناكو ) اي قبله . وبعدئذ عرف المبنى حظوظا مختلفة . ففي عهد ( زمري ليم ) ـ كما تدل على ذلك ١٧٠ رقيما كتابيا مكتشفا ـ ضم هذا المبنى العراف ( اسكودوم ) الشخصية الهامة في المدينة . وقد تهدم هذا المبنى في نفس الوقت مع القصر الكبير من قبل ( حمورابي ) البابلي . وباستثناء الرقم الكتابية وقطع اختام الباب ، فان اطلال هذا المقر لا تضم سوى القليل من القطع ، ولكن هذا النقص تعوضه اهمية العمارة نفسها والمدفن .

ان المدفن هو الذي ادى الى نقل التنقيب الطبقي . ولاقامته تحت المبنى ، قام البناؤون بترتيب تل اصطناعي ارتفاعه عدة امتار تحيط به من كل الجهات ، وفي قمته اقيم المبنى . وقد تعذرت هناك معرفة التعاقب الطبقي الاصلي ، وفي هذه الشروط ظهر من الافضل البحث عن

مكان آخر للدراسة الطبقات الارضية . فعلى مسافة ١٠ م في جهة الجنوب تشكلت ورشة ( د ) عام ١٩٨٢ وبدت مبشرة لانها سمحت بوصل احدث السويات المكتشفة في الورشة ( آ ) مع طبقات عصر ( شاكاناكو ) .

**الورشة ( ب ) :**

جرى سبر طبقي على الطرف الشمالي من التل لتحديد طبيعة طبقات هذا القطاع ، واسباب نشوء البقايا الحالية للطرف الشمالي من التل . وان التعاقب الطبقي يمتد من عصر ( شاكاناكو ) على السطح حتى بداية عصر السلالات البدائية . ولكننا لم نصل الى أقدم سويات السكن ، لهذا فاننا امام نتيجة مؤقتة .

وظهر ايضا بأن طبقات هذا القطاع قطعت بشكل يتعذر معه معرفة الحد الحالي للتل كشيء آخر غير طرف متآكل . ولسبب لم يحدد بعد بدقة ، ولكنه مرتبط بامتداد التآكل ، فان الطرف الشمالي الحالي لا يمثل الحد القديم للمدينة التي تقع أكثر نحو الشمال . وعلى التنقيبات القادمة تحديد التوسع الحقيقي للمدينة في هذا القطاع .

لم يكن ممكنا تحديد طبيعة المنشآت في الطبقات القديمة من عصر السلالات البدائية ، فهي ليست سوى جدران صغيرة ضيقة ومتقطعة محفوظة في صف او صفين من الآجر فقط ، ولا تسمح بتحديد المخططات المتلاحمة لبيوت السكن ولكن في الرحلة الاحدث في هذا العصر ، شيد مبنى بابعاد كبيرة وبمخطط منظم جيدا . وهناك شبكة تصريف المياه المستعملة وربما كانت قد اشتركت في نفس العصر في هذا المبنى الذي ظهر قسم منه فقط . وهناك سطح مركزي تحيط به غرف ، وهناك ( حوض ) بشكل متطاول على مصطبة جصية ، و ( مذبح ) صغير بدرجتين من الجص ايضا يجهزان هذا السطح .

ولكن اهمية هذا المبنى تعود الى ملحقات المعبد ، كما تعود الى ما عثر عليه في مكانين مختلفين ، وأرض الرقم الادارية التي هي عشرون وثيقة ضاعفت عدد هذا النوع من الوثائق المؤرخة من منتصف الالف الثالث التي عثر عليها في تل الحريري . لقد تم هذا الحصاد من المكتشفات في وقت جيد لتأكيد المقارنات المجدية مع ( أرشيف ايبلا ) ، لان المجموعتين من نفس العصر أو من عصر متقارب جدا .

وكانت مكتشفات القطع عديدة في مكان ورشة ( ب ) لوجود عدد كبير من القبور جهزت في تلك المناسبة بأثاث هام . ويلاحظ قبر من جرة لابن ( شاكاناكو ) ( ايدين ايلوم ) وذلك اعتمادا على كتابة ختم اسطواني كان مع المتوفى كما عثر على خزامات أنف واقراط اذن من الفضة وخرزات عقيق ودبوسين من الفضة مع حلقة من الذهب والفضة وان الاثاث الجنائزي المجموع في هذا القطاع اتاح لنا ان نحدد تطور الفخار في الالف الثالث ق.م ونغني مجموعات القطع من برونز ماري .

**ورشة القصر :**

ان استئناف التنقيب في ( قصر ما قبل سرجون ) الذي ركز ( اندره بارو ) جهوده فيه عام١٩٦٤ حتى ١٩٧٤ بدا لي هاما لسبب اهمية هذا المبنى . فبدأ استئناف العمل وبالتوسع نحو الغرب وذلك بسبب التسهيلات التي تقدمها الباحات ( ١٣١ و ١٠٦ ) . فظهرت عدة قاعات من وحدة توقف فيها التنقيب عام ١٩٧٤ . وعثر على كمية كبيرة من الفخار مكسورة تحت الارض اتاحت امكان تحديد تاريخ هجر هذه السوية في العصر الاكادي . مما أدى الى تحديث تاريخ السكن المنسوب الى سوية ( ب ــ ١ ) .

ولكن الشيء الجديد هو اكتشاف قاعة كبيرة بواجهة مزينة بمحاريب تزيينية كثيرة . وقد قسم سطحها الداخلي الى ثلاثة اقسام بصفين يتألف كل منها على الاقل من ثلاث دعائم مزخرفة ايضا بمحاريب تزيينية بدرجات عديدة على وجوه الممر الرئيسي . وان ابعاد هذه القاعة نحو ١٥ م من الغرب الى الشرق ، ونفس الشيء ــ

ان لم يكن اكثر – من الشمال الى الجنوب مما يجعلها احدى أجمل القاعات التي ظهرت في ( قصر ماري ) وان وجود هذه الدعائم بدا كدلالة اصيلة للعمارة الشرقية من العصر الاكادي الذي يعود اليه هذا المبنى وذلك اعتمادا على الفخار المكتشف .

## ٥ – دراسة البيئة :

حول هذه الناحية ، كان البرنامج قد التزم بذلك عام ١٩٨٠ . وقد اتاحت دراسة تشكيل ماري جمع عدد من المعطيات الجديدة عن تنظيم المساحة الزراعية عند ازدهار المدينة وعن تنظيم اقامة الانسان وتنظيم اقامة الاقنية . وانه من السابق لأوانه الادلاء باستنتاجات من مجموعة هذا المشروع .

ان هذا العرض السريع للنتائج الاولى للاعمال التي جرت منذ عام ١٩٧٩ على تل الحريري وضواحيه ، يدل بأن ( ماري ) تبقى الموقع الرئيسي لدراسة سورية وبلاد ما بين النهرين في الالف الثالث والثاني قبل الميلاد .

ان بداية تنفيذ برنامج التنقيب أوضحت بأنه يمكن أن ننتظر من السنوات القادمة تجددا هاما للقضايا بفضل هذا التل الذي ما زال يدهش منذ نصف قرن .

< ✿ >